جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

تشكيل الصورة في شعر الحماسة والفخر في العصر الجاهلي

إعداد

د/ منيره دخيل اللّه العيشي

أستاذ مساعد في الأدب والنقد، قسم اللغة العربية ، كلية الآداب ، جامعة الطائف ، مدينة الطائف، المملكة العربية السعودية

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الرابع .. نوفمبر)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

تشكيل الصورة في شعر الحماسة والفخر في العصر الجاهلي

منيره دخيل الله العيشي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الطائف، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: monera.a@tu.edu.sa

الملخص:

الحماسة والفخر من الموضوعات التي احتلت الصدارة في الشعر الجاهلي، وكانت انعكاساً للحياة الجاهلية في حربها وعزها ومجدها، وعكست انفعال الشاعر الجاهلي إزاء وقائعها وعتادها وعدتها وغير ذلك من لوازم الحرب فظهر لنا الفخر، وقد اعتمدت هذه الدراسة على الرمز والأسطورة، ومحاولة استنطاق النصوص والكشف عن أبعاد الصورة فيها، وبالرجوع لدراسات سابقة حول الموضوع وجدت الباحثة دراسات تناولت الناقة منها:(صورة الناقة في القصيدة الجاهلية لسعيد العنكبي)، وكذلك (الناقة في الشعر الجاهلي لحنا نصر ودراسات حول (ناقة طرفة) لذلك تجاوزت صورة الناقة في هذه الدراسة. أما صورة الحرب فهناك دراسات حولها لكنها تختلف في منهجها وتعاطيها مع النصوص عن هذه الدراسة التي بين أيديكم، وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة الرجوع لدواوين الشعراء والرجوع للأصمعيات والمفضليات وكتب الحماسة لاستقاء المادة العلمية وآثرت التعدد في مصادر المادة بغية تنوع الأبيات حيث وجدت نماذج في مصادر ولم أجدها في مصدر آخر، وجاءت مباحث الدراسة كالآتي: تمهيد عن "مفهوم الصورة قديما وحديثاً" يعقبه المبحث الأول: صورة الحرب في الشعر الجاهلي، المبحث الثاني: صورة الفرس / الرجل، المبحث الثالث: صورة الفخر بالذات والقبيلة، المبحث الرابع: صور أدوات الحرب، المبحث الخامس: الأثر السحري لشعر الحماسة والفخر، ثم خاتمة خلصت فيها الدراسة لأهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجاهلي، الحرب، الحماسة، الفرس، الفخر، الفارس.

Forming the image in the poetry of enthusiasm and pride in the pre-Islamic era

Mounira Dakhil Allah Al-Aishi
Department of Arabic Language, Taif University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: monera.a@tu.edu.sa

Abstract:
Enthusiasm and pride are among the topics that occupied the forefront in pre-Islamic poetry. They were a reflection of pre-Islamic life in its war, glory, and glory. It reflected the pre-Islamic poet's emotion regarding its events, equipment, equipment, and other supplies of war, so pride appeared to us. This study relied on symbol and myth, and an attempt to... Interrogating the texts and revealing the dimensions of the image in them, and by referring to previous studies on the subject, the researcher found studies that dealt with the camel, including: (The image of the camel in the pre-Islamic poem by Saeed Al-Ankabi), as well as (The camel in pre-Islamic poetry by Hanna Nasr and studies on (The Tarfa camel). Therefore, the image of the camel was surpassed in this Study: As for the image of war, there are studies about it, but they differ in their approach and treatment of texts from this study that is in your hands. The nature of this study required returning to the collections of poets and returning to the Asma'iyat, Al-Mufadliyyat, and the books of Al-Hamsa to extract the scientific material, and I preferred the pluralism in the sources of the material in order to diversify the verses, as I found examples in Sources, but I did not find them in another source. The study's topics were as follows: An introduction to "the concept of the image in ancient and modern times," followed by the first topic: the image of war in pre-Islamic poetry, the second topic: the image of the horse/man, the third topic: the image of pride in oneself and the tribe, the fourth topic: images Tools of War, Section Five: The magical effect of poetry of enthusiasm and pride, then a conclusion in which the study concludes with the most important results and recommendations.

Keywords: Pre-Islamic poetry, war, Enthusiasm, Horsemanship, Pride, Knighthood.

المقدمة

الحمد لله الواحد المنان ، صاحب الفضل والإنعام ، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير الأنام ، وعلى آله وصحبه الكرام ،وبعد

الحماسة والفخر من الموضوعات التي احتلت الصدارة في الشعر الجاهلي ، و كانت انعكاساً للحياة الجاهلية في حربها وعزها ومجدها ، وعكست انفعال الشاعر الجاهلي إزاء وقائعها وعتادها وعدتها وغير ذلك من لوازم الحرب فظهر لنا الفخر ، ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث في تقديم صورة لشعر الحماسة والفخر في هذا العصر على تساؤلات :

١-كيف صور الجاهليون الحرب وما مصادرها؟

٢- ماهي أبعاد صورة الفرس في الشعر الجاهلي ؟

٣- ما دلالة التنوع في تعدد أدوات الحرب ؟

٤- كيف تجلى الفخر الذاتي والقومي ؟

٥- هل هناك نصوص حماسية خالفت الواقع التاريخي ؟

وقد اعتمدت هذه الدراسة على الرمز والأسطورة ، ومحاولة استنطاق النصوص والكشف عن أبعاد الصورة فيها .وبالرجوع لدراسات سابقة حول الموضوع وجدت الباحثة دراسات تناولت الناقة منها :(صورة الناقة في القصيدة الجاهلية لسعيد العنكبي) ، وكذلك (الناقة في الشعر الجاهلي لحنا نصر ودراسات حول (ناقة طرفة) لذلك تجاوزت صورة الناقة في هذه الدراسة . أما صورة الحرب فهناك دراسات حولها لكنها تختلف في منهجها وتعاطيها مع النصوص عن هذه الدراسة التي بين أيديكم ؛ومن هذه الدراسات السابقة :

*صورة الحرب وأبعادها الأسطورية لابتسام نايف ، وقد ارتبطت بالمعتقدات الدينية القديمة والحروب عند الكنعانيين والبابليين واليهود وغيرهم وأهم معتقداتهم الحربية .. كانت أقرب للتنظير .

*الصورة البشعة للحرب في العصر الجاهلي لد.كامل حمدان وهي دراسة قصيرة

جداً لم تتجاوز العشرين صفحة ، وكانت أقرب لتحليل أبيات الحرب فقط ، ولم أجد فيها الصورة البشعة !

وقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة الرجوع لدواوين الشعراء والرجوع للأصمعيات والمفضليات وكتب الحماسة لاستقاء المادة العلمية وآثرت التعدد في مصادر المادة بغية تنوع الأبيات حيث وجدت نماذج في مصادر ولم أجدها في مصدر آخر .

وجاءت مباحث الدراسة كالآتي : تمهيد عن "مفهوم الصورة قديما وحديثاً" يعقبه

المبحث الأول :(صورة الحرب في الشعر الجاهلي) .

المبحث الثاني :(صورة الفرس / الرجل)

المبحث الثالث: (صورة الفخر بالذات والقبيلة :)

المبحث الرابع : (صور أدوات الحرب)

المبحث الخامس: (الأثر السحري لشعر الحماسة والفخر)

ثم خاتمة خلصت فيها الدراسة لأهم النتائج والتوصيات .

فما هذا العمل إلا جهد مقل ، ولا ندعي فيه الكمال ولكن عذرنا أنا بذلنا فيه قصارى جهدنا فان أصبنا فذاك مرادنا ، وان أخطئنا فلنا شرف المحاولة والتعلم ، ولا نزيد على ما قال العسقلاني :

"رأيت أنه لا يكتب إنساناً كتابًا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ،ولو زيد كذا لكان يستحسن ،ولو قدم هذا لكان افضل ،ولو ترك هذا لكان أجمل وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر...."

التمهيد

الصورة قديماً وحديثاً :

تعد الصورة النقدية من أهم المصطلحات التي حظيت باهتمام النقاد قديمًا وحديثًا ؛ إذ أنها تعتبر الأداة التي يستطيع من خلالها الناقد الكشف عن أصالة العمل الأدبي ، وبيان مدى قدرة الأديب على صياغته ،ويجدر بنا قبل الخوض في تشكيل الصورة الشعرية في شعر الحماسة والفخر في العصر الجاهلي أن نبين مفهوم الصورة قديمًا وحديثًا .

أولا : الصورة في النقد العربي القديم :

لو تتبعنا مفهوم الصورة في النقد قديما . لدى العرب . سنجد نصا للجاحظ ت (٢٥٥هـ) يقترب من مفهوم الصورة بحيث يقدم اللفظ " الصورة " على المعنى فيقول :

" المعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وإمنا الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء وصحة الطبع ،وجودة السبك ، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير " [١]

ونلحظ من هذا النص أن الجاحظ يعلي من شأن اللفظ ويقدمه على المعنى ، ويضع بين أيدينا مصطلح(التصوير) ، وإن لم يرشدنا كيف أن الشعر جنس من التصوير إلا أنه أكسبه كما ذكر د. جابر عصفور دلالة خاصة تقوم على ثلاث مبادئ : " أول هذه المبادئ أن للشعر أسلوبا خاصا في صياغة الأفكار أو المعاني ، وهو أسلوب يقوم على إثارة الانفعال ، واستمالة المتلقي إلى موقف من المواقف .وثانيها: أن أسلوب الشعر في الصياغة يقوم . في جانب

١)الحيوان للجاحظ ٣/ ١٣١،تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى الحلبي ، ١٩٦٥م

من جوانبه . على تقديم المعنى بطريقة حسية ، أي أن التصوير يترادف مع ما نسميه الآن بالتجسيم. وثالث هذه المبادئ : : أن التقديم الحسي للشعر ، يجعله قرينا للرسم ، ومشابها له في طريقة التشكيل والصياغة ، والتأثير والتلقي وإن اختلفت عنه في المادة التي يصوغ بها ، ويصور بواسطتها " [١].

أما عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) فقد نظر إلى الشعر باعتباره معنًى ومبنًى ،ينتظمان في الصورة لا فضل ولا سبق لأحدهما على الآخر يقول : "ولا أعلم أن قولنا الصورة إنما هو تمثيل وقياس لما نعمله بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون موجهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان ، وفرس من فرس ، بخصوصية تكون في صورة ذاك ، وليست العبارة عن بالصورة شيئًا نحن ابتدأناه فينكره منكر، بل هو مستعمل في كلام العرب ويكفيك قول الجاحظ (وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير) "[٢].

والمتأمل يرى أن مفهوم الصورة عند الجرجاني قد قام على ثلاثة أركان رئيسة هي :

١- تناول الصورة والتصوير في خضم البحث البلاغي

٢- هضم معاني الصورة لغة واصطلاحاً من شتى مصادرها الأصلية وربطها بالنظرية التي أن القول صناعة .

٣- يتلمس مصادر الصورة ووسيلة خلقها في الواقع بأبعاده المورثة ومقوماتها الحيوانية [٣].

---

١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ٢٥٧، دار التنوير ،بيروت ، ١٩٨٣م .

٢) دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني ٥٨، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ط ٣، ١٩٩٢م .

٣) ينظر بناء الصورة الفنية في البيان العربي كامل حسن البصير ٤٢،

عندما نتوقف عند عبد القاهر نجد أنفسنا أمام إمامٍ له منهج متميز فيد دراسة الصورة عمن سبقه ،وله حس نقدي مرهف بلغ بالنقد مابلغه النقاد في القرن الخامس عشر ؛ وذلك لسعه أفقه ،ودقة عباراته ، وتناوله الشمولي للنقد الأدبي .

أما حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) فيقول [١]:" يكون النظر في صناعة البلاغة من جهة ما يكون عليه اللفظ الدال على الصورة الذهنية في نفسه، ومن جهة ما يكون عليه بالنسبة إلى موقعه من النفوس من جهة هيأته ودلالته ، ومن جهة ما تكون عليه في أنفسها الأشياء التي تمتلك المعاني صورٌ لها وأمثلة دلالة عليها ، ومن جهة مواقع تلك الأشياء في النفوس ".

أولا : الصورة في النقد العربي القديم :

إذا كان مصطلح الصورة يستعمل في غير مجال من مجالات المعرفة الإنسانية ،فإنه يتخذ في كلٍ منهما مفهومًا خاصًا وسمات محددة ، يمكن أن تنحصر في دلالات خمس : اللغوية والذهنية والنفسية والرمزية والبلاغية أو الفنية [٢].

وقد لا نجد المصطلح بهذه الصياغة الحديثة في التراث البلاغي والنقدي عند العرب ، ولكن المشاكل والقضايا التي يثيرها المصطلح الحديث ويطرحها موجودة في التراث القديم ، وإن اختلفت طريقة العرض والتناول ، أو تميزت جوانب التركيز ودرجات الاهتمام[٣].

---

١) مناهج البلغاء وسراج الأدباء ١٠٩ ، تحيق محمد الخوجه ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م .

٢) مقدمة لدراسة الصورة الفنية د.نعيم اليافي ٤١ ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد ، دمشق .

٣) ينظر الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ٣٥

ويمكن حصر اتجاهات النقاد العرب المحدثين حول مفهوم الصورة في ثلاث اتجاهات هي :

الأول : اتجاهٌ تبنى طروحات النقاد الغربيين ،ونفى عن العرب معرفتهم بالصورة الفنية ،وهذا الاتجاه ظهر لدى علي البطل في دراسته الموسومة ب (الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها)،ونصرت عبد الرحمن في كتابه (الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث) ، أما د.مصطفى ناصف في (الصورة الأدبية) ونعيم اليافعي (مقدمة لدراسة الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث) فلم يبتعدا عن سابقيهم في الاعتماد على النقد الأوروبي .

اتجاهٌ ثانٍ . على قلّته . تشبّث بالقديم ، وأعلى من شأنه ، فلم يلتفت إلا لما أفرزه النقد العربي القديم ، ويمثل هذا الاتجاه د. كمال حسن البصير في (بناء الصورة الفنية في البيان العربي)

اتجاه أخير معتدل ، قرأ بعين الناقد البصير ، فأقر فضل القديم منهم :علي إبراهيم أبو زيد في (الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي) وعبد الله صالح في (الصورة الشعرية في النقد الحديث) وجابر عصفور في (الصورة الفنية في التراث العربي القديم) [١].

والمتأمل يجد أن تراثنا العربي زاخر بكثير من القضايا التي تستدعي وعيا بأبعادها والنظر فيها وإعادة قراءتها قراءة جديدة في ظل معطيات الاتجاهات النقدية الحديثة .

١) ينظر الصورة الفنية قديما وحديثا لعبد الحميد قاوي ، مجلة ديوان العرب ، ٢٠٠٨ م .

المبحث الأول : صورة الحرب في الشعر الجاهلي

الحماسة من الموضوعات التي خاض فيها الشعراء الجاهليين ، فإذا سعرت الحرب ،أمدوها بوقود من ألوان التغني بالبطولات " لا يرهبون الموت ،فهم يترامون عليه تحت ظلال السيوف والرماح ، مدافعين عن شرف قبائلهم ، ويرتفع هذا الغناء بحيث يخيل إلينا أنه لم يكن هناك صوت سواه، ولعل ذلك ما دفع أبا تمام إلى أن يسمي مجموعته من أشعارهم وأشعار من خلفوهم باسم الحماسة ، فهي التي تستنفذ أشعارهم وقصيدهم ، وهي ديوانهم الذي يسطر تاريخهم ومناقبهم ومفاخرهم ، وهل هناك فخر أعلى من فخر الشجاعة والتنكيل بالأعداء ؟ وأقرأ في المفضليات و الأصمعيات ، فستجد هذا الفخر وما يطوى فيه من الحماسات يدور على كل لسان ..."[1].

*** مصادر صورة الحرب :**

حاول الشعراء في صورهم الشعرية للحرب أن يصورها بصورة مكروهة ، مملؤة بالأخطار ،والمصائب فاتخذوا صورا من المحسوسات التي كانت في بيئتهم ؛مما يساعدهم على إبراز هذه الصورة [2].

وأهم ما أخذوا عنه الصور ثلاثة أشياء : الرحى والنار وبعض أحوالهم وأحوال حيواناتهم التي يكونون عليها ساعة الخطر أو الجد أو الغضب أو العنف والقسوة والوحشية .

يقول زهير :

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة وتضر إذ ضريتموها فتضرم

١) العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ٢٠٢ ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١م

٢) ينظر الحرب في العصر الجاهلي ، لعلي الجندي ٧٥ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

ويقول عمرو بن كلثوم :

متـــى ننقـــل إلـــى قـــوم رحانـــا يكونـــوا فـــي اللقـــاء لنـــا طحينـــا

ويقول أبو قيس بن السلت [١].

أنكرته حين توسمته والحرب غول ذات أوساع

وقال آخر في الحماسة [٢]:

الشر يبدؤه في الأصل أصغره وليس يصلى بنار الحرب جانبها

الحرب يلحق فيها الكارهون كما تدنو الصحاح من الجربى فتعديها

نلحظ توزع صور الحرب ما بين الرحى ، والنار ، والغول ، وهذه الصور تشي بمدى الخطر والهلاك الذي هو النهاية التي يترقبها الشاعر الجاهلي . وأكثر ما يتجلى من شعر الحماسة والفخر صور الحرب وأدواتها ،كما نرى في شعر طرفة بن العبد حيث يقول [٣]:

ولولا ثلاث هنّ من عيشة الفتى وجدِّك . لم أحفل متى قام عُوّدي

فمنهن سبقي العاذلاتِ بِشَرْبةٍ كُميتٍ، متى ما تُعّلُّ بالماء تُزْبدِ

وكرِّي إذا نادى المُضاف محنبا كسيد الغضى ـ نبهته ـ المُتَورِّدُ

من خلال هذا النص نرى صورة الحرب في شعر طرفة تعكس المجد والشهرة ؛ لأنها مظان الثروة التي تذخر لزمن السلم ، فهي تعين على تكاليف السيادة والكرم ومن هنا كان اهتمام العربي بها ، والإعداد لها ، حتى لا يؤخذ فيها على حين غرة ، وفي النص تتشكل فلسفة الشاعر في الحياة فهي تقوم على ثلاثة أمور : لذة الخمر و خوض الحرب والمرأة وهذه الفلسفة التي يؤمن بها هي ما تجعله يواجه مصيره المحتوم .

---

١) المفضليات ٥٦١ للمفضل الضبي تحقيق شاكر وهارون ، دار المعارف بمصر .

٢) ١٩٩

(٣) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ١٩٤،دار المعارف ، مصر ،١٩٨٠م

المبحث الثاني : صورة الفرس / الرجل

تعكس لنا دواوين الحماسة فخر العربي ، وقيامه على فرسه ، وإعداده للحرب، وتجهيزه للسلاح وقد كان اهتمام العربي بسلاحه نابعاً من تصوره بأن هذا الفرس ما هو إلا صورة للرجل العربي في قوته وإقدامه وما هذا التصور إلا نابع من الأمل في تحقيق الغلبة والنصر على العدو ..فصورة الفرس هي ذاتها صورة الرجل العربي الذي امتلأت نفسه عزةً وغلبةً ومنعةً وثقةً وسطوةً فحضور الفرس كان حضوراً أسطورياً رمزياً يحاول من خلاله الشاعر رسم صورة الرجل العربي في نضاله عند تزاحم الصفوف وزحف الجيوش ، فتظهر لنا صورة فرس عوف بن عطيه بن الخرع في المفضليات [1]:

وامنـــع جـــاري مـــن المُجْحِفـــا ت ، والجـــار ممتنـــعٌ حيـــثُ صـــارا
واعـــددتُ للحـــرب ملبونـــةً تَـــرُدُّ علـــى سائســـيها الحمـــارا
كمَيْتَـــاً كحاشـــيةِ الأتحمـــيِّ لـــم يـــدعُ الصُـــنْعُ فيهـــا عُـــوارا
رواعُ الفـــؤادِ، يكـــادُ العنيـــفُ إذا جـــرّت الخيـــلُ أن يُســـتطارا
لهـــا شُـــعَبٌ كإيـــاد الغبيـــ ـــط، فُضّـــضَ عنهـــا البنـــاةُ الشـــجارا
لهَـــا رُسُـــغٌ مُكْـــرِبٌ أكَـــدٌّ فـــلا العَظْـــمُ واهٍ ،ولا الْعِـــرْقُ فَـــارا

نلحظ أن تصوير عوف بن عطيه لفرسه قائم على إبراز صفاتها الجسمية ،فصورها تصوير من عايشها بحبٍ . كما نلحظ أنه عند تصوير الحرب بدأ بالجار وحمايته ،وكأن يؤكد أن حماية الجار ارتبطت بدوافع الحرب في العصر الجاهلي ،بعد ذلك بدأ في رسم صورة فرسه التي أعدها للحرب ، فهي تسقى باللبن ،كما أنها تسبق الحمار الوحشي في سيرها ،وهي كبردة(الأَحْتَمِي) وهي

---

١) ١١٢- ١١٧

من أجود أنواع البرد في اليمن، محكمة الصناعة ، خالية من العيوب ،وهذه الفرس حادة النفس يَرْتَاع لذكائها من لا يحسن ركوب الخيل.

وإذا نظرنا لحضور الحصان في الشعر الجاهلي فإننا نجد الصفات العجائبية للحصان لدى امرئ القيس ، فهي صفاتٌ تجعل امتطاءه يستحيل على الأقوياء يقول في شرح المعلقات ٨٢ :

كميت يزل اللبد عن حاله متنه كما زلت الصفوا بالمتنزل

يزل الغلام الخف عن صهوات ويلوي بأثواب العنيف المثقل

وما بين تأبّي الحصان على راكبيه الغلام الخف والعنيف المثقل تتوالى صفات القوة والتميز يقول :

على الذبل جياش كأن اهتزامه إذا جاش فيه حمية غلي مرجل

مسح إذا مالسابحات على الونى أثرن الغبار بالكديد المركل

دريدٍ كحذف الوليد أمرَّ تتابعُ كفيه بحيط موصَّلِ

له أيطلا طبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفلِ

ضليعٌ إذا استدبرته سد فرجة بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزلِ

مما سبق نجد أن امرئ القيس وقف شاهداً في الظاهر على أسطورية الحصان ، ولكنه فيما وراء الظاهر تماهى بالصفات ، فصفات الحصان هي نفسها الصفات التي ربما أراد الشاعر أن يصف بها نفسه .ثم أن الشاعر يتحول إلى وصف عملية الصيد ، وفي هذه الرحلة يتماهى الحصان، ويخرج الشاعر من الشاهد على صفة وفعل إلى شريك في الصفة والفعل !وربما تكتمل صورة التجاوز في البطولة ،" فيظهر الشاعر وقد امتطى صهوة حصانه ووصلا معاً

إلى أعلى درجات الجهد الأسطوري الدرامي الذي ضبطت مساحته المعركة التي خاضها مع الثيران"[١].

ومن يدقق النظر في تصوير امرؤ القيس لفرسه يجده أخرج نفسه وحصانه من الانتماء الحقيقي والطبيعي إلى الوهمي والأسطوري ، الذي لا يمكن أن يقع في الواقع يقول *:

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجَّلِ

فعن لنا سرب كأن نعاجه عذارى دوار في ملاء مذيّلِ

فعادى عداءً بين ثور ونعجةٍ دراكاً ولم ينضح بماء فيغسلِ

ثم يتجاوز صفة القوة إلى صفة الجمال الأسطوري :

ورضا وكاد الطرف يقصر دونه متى ما تَرَقّ العين تَتفلِ

إنه . بحسب شرح الزوزني . كامل الحسن ، رائع الصورة وتكاد العيون تقصر عن كنه نفسه ، ومهما نظرت العيون إلى أعالي خلقه ، اشتهت النظر إلى أسافله [٢].

١) ينظر الشعر الجاهلي إشكالات وقراءات د.جودت كساب ١٢٣، مكتبة الراشدون ، الرياض، ٢٠٠٤

*أبيات الفرس لإمرئ القيس ينظر شرح المعلقات ٨٢– ٨٧ ، دار البيان ، بيروت ١٩٧٣م

٢) شرح المعلقات السبع ، ٨٧

المبحث الثالث : صورة الفخر بالذات والقبيلة :

كان العربي يعتز بقوته وشجاعته ، وشدة بلائه في المعارك ،ويشيد بأمجاد قومه ، ويفتخر بذلك على سائر القبائل ، وكان يرى القتل في سبيل الشرف وتحقيق الغلبة أسمى الغايات ،ويكره أن يموت حتف أنفه، يقول السموآل بن عاديا[١]

إذا المرء لم يَدْنَس من اللّوم عرضُه فكل رداءٍ يرتديه جميلُ
تُعيّرنا أنّا قليلٌ عديدُنا ففلت لها إنّ الكرامَ قليل
وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طُلّ منا حيث كان قتيل
تسيل على حد الضّبات نفوسنا وليست على غير الضُبات تُسيل

نلحظ من استقرائنا لشعراء الجاهلية ، أن الحماسة ملء الأفواه والأسماع ،فكان الشعراء ينهضون بعبء القتال يتحدثون ويصفون المعارك ، ويتفاخرون بالأيام ،ولقد دار الشعر الحماسي حول وصف المعارك في هذا العصر ، كما برعوا في وصف أدواتها من سيف ورمح وقوس ودرع وترس ، وهم يمتطون صهوات الخيل التي تسابق الريح ، وعلى ظهور الإبل التي تهدر كصوت الرعد؛ يدعون إلى القتال[٢].

ويتجلى الفخر في لامية العرب للأعشى حين يقول [٣]

ولست مهيافٍ يُعشّى سوامه مجدعة سيقانها وهي بُعَّلٌ
ولست بعلٍّ شرّه دون خيره ألف ،إذا مارُعته ،اهتاج أعزلُ
ولست بمحيارِ الظلام إذا انتحتْ هدى الَهوجِلِ العسِّيقِ يهماءُ هَوْجَلُ

---

١) الحماسة لأبي تمام ٢٧ ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر

٢) ينظر: لغة الحرب في شعر الحماسة دراسة دلالية ،د.عبد اللطيف عبد القادر ٤٢، دار جرير ،٢٠١١م .

٣) ديوان الشنفرى ١٩ ،جمع وتحقيق د.إميل يعقوب ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٩٦م

وفي هذا النص نلقى أسلوب الفخر الذي يخلع فيه الشاعر عن نفسه ثياب الخسة والضعف ، وليس ثياب القوة وحسن التصرف وكمال الرجولة ، معتمداً في ذلك على الأسلوب التقريري ؛ الذي يقرر به الواقع ويلجأ فيه إلى التصوير لتجسيد المعاني وإلباسها ثوباً أدبياً يجسمها في خيال السامع ، فيصور لنا خبرته بدروب الصحراء ومسالكها التي لا حدود لها ، فلا يتحير فيها ولا يضل وهو يجتازها في الظلام .

وتتجلى في رائية طرفة بن العبد صورة القبيلة والفخر بها حيث يقول [١]:

أسدُ غابٍ، فإذا ما فزعوا غَيرُ أنكاسٍ ولا هودج هُذُرْ

طيبوا البادِءةِ سُهلٌ ،ولهم سُبلٌ ـ إن شت ـ في وحشٍ وَعرْ

وَهمُ ما هم ،إذا ما لبسوا نسج داوودَ لبأسٍ مُحْتَضَرْ

ثم زادوا أنهم في قومهم غُفُرٌ ذنبهم ، غيرُ فُخُرْ

تمثل الأبيات السابقة الالتزام القبلي الرشيد الذي يعبر عن التزام القبيلة بأبنائها من ناحية ، وبالمثل الإنسانية من ناحية أخرى ؛إنه يقدم القبيلة ذات المستوى المتفرد في النبل والفروسية والقوة والكرم والشجاعة والتكافل .

وتصوير طرفه للقبيلة بهذه الصورة إنما يؤكد . كما ذكر د.أحمد الهرفي . القيم الإنسانية التي تلتزم بها القبيلة فعلاً ، أو التي ينشدها لهم ،حيث يقدم لهم النموذج الأمثل لمايجب أن يكونوا عليه بإدخالهم في ذلك النموذج ضمناً [٢].

ويتجلى الفخر بالقبيلة في معلقة عمرو بن كلثوم ، فهذه المعلقة من أغنى الشعر الجاهلي بالعناصر الملحمية والحماسية يقول :

---

١) ديوان طرفة بن العبد ٥٠ ، تحقيق الخطيب والصقال ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٧٥م

٢) ينظر في النص الأدبي القديم والحديث ٤٢ ، دار المعالم ،الأحساء ، ٢٠٠٥م .

أَبَـا هِنْـدٍ فَـلاَ تَعْجَـلْ عَلَيْنَـا وَأَنْظِـــرْنَا نُخَبِّـــرْكَ اليَقِيْنَـــا
بِأَنَّـا نُـوْرِدُ الـرَّايَاتِ بِيْضـاً وَنُصْـــدِرُهُنَّ حُمْـــراً قَـــدْ رُوِيْنَـــا
وَأَيَّـــامٍ لَنَـــا غُـــرٍّ طِـــوَالٍ عَصَيْنَـــا المَلِـــكَ فِيهَـــا أَنْ نَدِيْنَـــا

المبحث الرابع : صور أدوات الحرب :

وجميع هذه الصور السابقة كانت تتصل أيضاً بصور أنواع السلاح التي كانت تستخدم في المعارك ، مما يجعل فرسان القبيلة يعيشون حالة من الزهو والفرح بالانتصار، فيطمئنون إلى مستقبل أيامهم مع خصومهم من القبائل الأخرى .

ولعل شعراء الحماسة ، هم من بين أكثر الشعراء في العصر الجاهلي براعة في تقديم صور مفصلة لأدوات الحرب كالرمح والدروع والسيف والسهم (وهذه الصور تشف عن معتقدات قديمة حين كان الإنسان القديم ينقش على جدران كهفه ومعبده وجسده ، صوراً لمختلف الأسلحة التي كانت بحوزته من أجل إيقاع الرعب في نفوس الأعداء ، وربما اتخذها وسيلة سحرية لتأمين انتصار يؤمله)[١].

يقول المزّرد في المفضليات [٢]:

ومســـفوحةٌ فضاضـــة تُبّعيـــةٌ وآهـــا القتيـــرُ، تجتويهـــا المعابـــلُ
موشـــحةٌ بيضـــاءُ دانٍ حَبِيْكُهـــا لهـــا حلَـــقٌ بعـــد الأنامـــلِ فاضـــلُ
مشـــهرةٌ تُحْنَـــى الأصـــابعُ نحوهـــا إذاجُمّعـــتْ يـــوم الحِفـــاظِ القبائـــلُ

١) مقدمة في نظرية الأدب ٤٤ .

٢) للمفضل الضبي ٩٨

فالشاعر يصف درعه وترسه وسيفه ورمحه وصفاً دقيقًا وربما هذا التركيب الأسطوري والسحري الذي يرتبط ارتباطاً قوياً بالطقوس والعقائد الدينية والأسطورية يظهر في نواحي القصيدة من تنويه بالجواد وفخر بالنفس ، ووصفٍ تفصيلي لأدوات الحرب وكأن هذه الأدوات ماهي إلا وسائل سحرية قصد بها الشاعر التأثير على العدو وإيهامه بالغلبة والقوة . يقول د.عبد المنعم تليمة :(إن التفكير بالمفاهيم ، قد كان سيطرةً على واقع أنجزته أدوات العمل ، وأساليب الإنتاج وعلاقاته في المجتمع البدائي أما التفكير بالرموز- المنطق الأسطوري والمستوى الرمزي للغة . فقد كان سيطرة على واقع قصّرت عن تحقيقه تلك الأدوات والأساليب في ذلك المجتمع)[١].

وإن العلاقة التي تربط الشنفرى بالقوس تدعوه إلى الإسهاب في وصفها ، فهي وسيلة للإغارة ، ومصدر معيشته في الصيد ، وقد بلغ الجودة في التصوير حيث يقول [٢]. :

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

إذا زل عنها السهم حنت كأنه مزارة ثكلى تئن وتعول

فالبيت الأول تقرير لحال القوس ،ووصف عادي لها ،لكنه ينطوي على دلالة نفسية ترتبط بموقف الشاعر فلها صوت يرن عند انطلاق السهم واندفاعه الشديد في الفضاء ،كما أنها ملساء ليست خشنة حتى لا تؤذي يد حاملها ، أو ذات عقد فيؤثر ذلك في أدائها يعني ذلك أنها حسنة الصنع وهي مرصعة ببعض ما يحليها، بالإضافة إلى المحمل الذي تعلق بواسطته ، وهاتان الصفتان تنمان عن شغف الشاعر وهيامه بقوسه تتعدى صلة الآلة بصاحبها يدل لهذا العشق هذه الزخرفة وتلك الحلى التي يجملها بها كما يجمل العروس [٣].

---

١) مقدمة في نظرية الأدب ٤٥

٢) ديوان الشنفرى ٦٧

٣) ينظر دراسة في نصوص الشعر الجاهلي د.أحمد عمارة ،٩٢،مكتبة المتنبي ، ٢٠٠٣م .

المبحث الخامس :الأثر السحري لشعر الحماسة والفخر

لعل جولدزيهر Goldziherهو أول من اعتقد بظهور آثار واضحة التأثير السحري في أوائل شعر الهجاء عند العرب كما يذكر بروكلمان [١] ، كأن في يد الشاعر سحراً يقصد به تعطيل قوى الخصم ، فالشاعر كان يصور بخياله ما يهواه تصويرا دقيقاً مقتنعاً أنه سيتحقق له مايريد ، وقد ذكر الشريف المرتضى في آماله أن الشاعر الجاهلي كان إذا أراد الهجاء لبس حلة وحلق رأسه إلا ذؤابتين ، ودهن أحد شقي رأسه وأرخى إزاره وانتعل نعلاً واحداً[٢] .

ويتضح من هذا أن هذا الضرب من السحر الرمزي الذي يراد به إحداث تأثير قولي وفعلي في المهجو ، وإلحاق الأذى به ؛ فالشعر يمتلك قدرة إيحائية تخييلية أو كما أسماها جاكبسون (الوظيفة الشعرية التأثيرية)* ، ولو رجعنا للسان الدين الخطيب سنجد نصًا له في العلاقة بين السحر والشعر يقول : (الشعر ليس في أمة من الأمم بمحصور ، ولا على صنف من البشر بمقصور ، وهو فيما يوجد للأوائل ويلفى ، أعم من أن يشمله الوزن المقفى ، أو يختص به عروض تكمل وزنه فيه ويوفى ، فمن الشعر عندهم الصور الممثلة ، واللعب المتخلية ، وما تأسس على المحاكاة والتخييل مبناه) [٣].

وقد كان الشعراء في العصر الجاهلي ينهضون لتصوير الحرب ،وكثيراً ما يتحدثون عن بلاء المحاربين ، فيركزون تصويرهم على النتيجة التي تسفر عنها المعركة حيث أجساد القتلى وقد انتشرت على الأرض ، بيما حامت الطيور فوقها

---

١) تاريخ الأدب العربي ٤٦/١ ،ترجمة فؤاد نجار، دار المعارف مصر ١٩٧٧م

٢) الأمالي ١٩١/١ تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٦٧م

*ينظر النظرية الشكلية في الأدب والنقد والفن ٥٣ د. جميل حمداوي

٣) السحر والشعر ١١ ، حققه المستشرق كونتينته فيرير ، راجعه محمد سعيد أسبر ، الناشر بدايات للطباعة ، سوريا ، ٢٠٠٦م

، حتى كادت تحجب ضوء الشمس ، وتكاد هذه العناصر تتكرر في أغلب صور الحرب عند الجاهليين ،بحيث تتكون منها الصور الأنموذج التي كان ينقشها البدائي على كفهه ، وربما جعلها تعويذة أو وسيلة سحرية تقيه شر أعدائه وتحقق له النصر ! وقد شكلت تلك الرسوم أولية الفن المقدس لدى الجاهليين المبني على الاعتقاد الديني في ذلك العصر ،وفي دواوين الحماسة مايشي بذلك ، يقول عبد المسيح بن عسلة الشاعر البكري في المفضليات [١].

ألا ياسلمي على الحوادث فاطما فإن تسأليني ، تسألي بي عالما
غدونا إليهم والسيوف عِصيُّنا بإيماننا نفلي بهن الجماجم
لعمري لأشبعنا ضباع عُنيزةٍ إلى الحول منها ،والنسورَ القشاعما
فأما أخو قرطٍ ولستُ بساخرٍ فقولا له :يا اسلم بمرة سالما

الشاعر هنا يدعو لصاحبته "فاطمة " بالسلامة ، كم يظهر اعتزازه وفخره بنفسه وقومه ، خصوصاً يوم عنيزة ، فصور لنا هول هذا اليوم وكم من القتلى سقطوا ، بحيث ظلت النسور والضباع ترتاد أرض المعركة، وفي هذه الصورة مافيها من تخيل أسطوري يتصل بأجواء الملاحم التي شاعت في العصور القديمة ، ولا علاقة له بالوقع ؛ فبالعودة إلى أيام العرب في الجاهلية نعلم أن يوم عنيزة هو من أيام حرب "البسوس " وكان بين أبي بكر وبني تغلب ، ودارت الدائرة لبني تغلب على أبي بكر [٢]. ولكن الشاعر البكري في ذا النص يأبى أن يعترف بالهزيمة بقدر ما يريد أن يقدم تعويذة شعرية سحرية حماسية ، يسبغ عليها ظل البطولة والنصر المزيف ، فتبدو الصورة وكأنها تصدر عن اعتقاد ديني قديم يتصل بفن السحر، كما يتصل بفن الشعر ،فالشاعر يصور سيطرة

١) ٣٠٤

٢) ينظر أيام العرب في الجاهلية ١٤٢ لمحمد أحمد جاد المولى ،دار الفكر بيروت .

قومه الكاملة على أرض المعركة في حين خذلان الواقع له ..

ومن الفخر قول الشنفرى [١]:

ولســـت بمهيـــافٍ يُعشِّـــى ســـوامه مجدعـــةً ســـيقانها وهـــي بُهَّـــلُ

ولا جبـــا أكهـــى مُـــرت بعرســـه يطالعـــه فـــي شـــأنه كيـــف يفعـــل

ولا خـــرقٍ هيـــقٍ ، كـــأن فـــؤاده يظـــل بـــه المكـــاءُ يعلـــو ويسْـــفُلُ

في هذه الأبيات يلقانا أسلوب الفخر الي يخلع فيه الشاعر عن نفسه ثياب الخسة والضعف وليس ثياب القوة وحسن التصرف ، معتمداً على الأسلوب التقريري الذي يقرر به الواقع ، والذي يلجأ فيه إلى التصوير لتجسيد المعاني وإلباسها ثوباً أدبياً يجسدها في خيال السامع ، فيصور الجبان لنا في اضطرابه كأن قلبه معلق في طائر يعلو وينخفض " كأن فؤاده يظل به المكاء يعلو ويسفل "والذعر لايفارقة بل يستديم عبر الفعل " يظل " و" يعلو ويسفل " يزيد من ضربات القلب نظراً للحركة الشديدة والاهتزاز العنيف .

١) الديوان ٨٦

الخاتمة :

بعد عرض هذه الصفحات ظهرت بعض النتائج ، وهي كالآتي :

١-جاءت صورة الحرب مليئة بالمخاطر ، وتعكس فلسفة الشاعر الجاهلي في الحياة ، وقد توزعت الصور ما بين الرحى والنار والمرأة والغول واستمدت هذه الصور من حياة الشاعر الجاهلي .

٢-ظهرت صورة الفرس كرمز أسطوري ، وكانت انعكاساً لشخصية العربي قوته ونضاله ، فالصفات التي خلعها عليها ماهي إلا صفات الرجل العربي الشجاع .

٣-ظهر الفخر بالذات والفخر بالقبيلة وإن كان الفخر بالقبيلة اتخذ بعداً ملحمياً حماسياً كما في معلقة عمرو بن كلثوم .

٤-تنوعت أدوات الحرب من سيوفٍ ورماحٍ وسهامٍ ودروعٍ ،وأبدع الشاعر الجاهلي في تصويرها تصويراً دقيقاً ، بحيث جعلها وسيلةً سحريةً قصد بها التأثير على أعدائه ، وإيهامهم بالغلبة والنصر.

٥-امتلك الشعر الحماسي قدرة تخييلية إيحائية تأثيرية لدى المتلقين .

٦-جاءت بعض القصائد مخالفة للواقع ؛تظهر الغلبة والنصر على العدو في حين أن أرض المعركة تخذلهم ،وهنا يتضح الأثر السحري لتلك القصائد وأن الهدف منها هو التأثير على العدو وإيهامه.

٧-من خلال إطلاع الباحثة على كتب الحماسة والمفضليات والمعلقات وجدت كثيراً من الشعر الذي يدعو إلى السلم ، ومع ذلك لم نقف على دراسة علمية حوله ، ولعل هذا البحث يدعو إلى تناول السلم في الشعر الجاهلي ودوافعه وتقديم صورة له فحرب داحس والغبراء كفيلة بأن تهز وجدان الشاعر الجاهلي.

المراجع :

١- الأمالي تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربي بيروت ، ١٩٦٧م

٢- بناء الصورة الفنية في البيان العربي كامل حسن البصير

٣- تاريخ الأدب العربي لبركلمان ،ترجمة فؤاد نجار، دار المعارف مصر ١٩٧٧م

٤- الحرب في العصر الجاهلي ، لعلي الجندي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٥- الحماسة لأبي تمام ، شرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر

٦- الحيوان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة مصطفى الحلبي ، ١٩٦٥م

٧- دراسة في نصوص الشعر الجاهلي د.أحمد عمارة ،٩٢،مكتبة المتنبي ، ٢٠٠٣م .

٨- دلائل الاعجاز عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة ط ٣، ١٩٩٢م .

٩- السحر والشعر ، للسان الدين الخطيب حققه المستشرق كونتينته فيرير ، راجعه محمد سعيد أسبر ، الناشر بدايات للطباعة ، سوريا ، ٢٠٠٦م

١٠- شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ١٩٤،دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٠م

١١- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، د. جابر عصفور ، دار التنوير ، بيروت ١٩٨٣م .

١٢- الصورة الفنية قديما وحديثا لعبد الحميد قاوي ، مجلة ديوان العرب ، ٢٠٠٨ م .

١٣- العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١م

١٤- في النص الأدبي القديم والحديث ، دار المعالم ،الأحساء ، ٢٠٠٥م .
١٥- لغة الحرب في شعر الحماسة دراسة دلالية ،د.عبد اللطيف عبد القادر ٤٢، دار جرير ،٢٠١١م .
١٦- المفضليات للمفضل الضبي تحقيق شاكر وهارون ، دار المعارف بمصر
١٧- مقدمة في نظرية الأدب د. عبد المنعم تليمة ، دار العودة بيروت ، ١٩٨٣م
١٨- مقدمة لدراسة الصورة الفنية د.نعيم اليافي ، منشورات وزارة الثقافة والارشاد ، دمشق
١٩- مناهج البلغاء وسراج الأدباء ، تحيق محمد الخوجه ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٦٦م .
٢٠- الشعر الجاهلي إشكالات وقراءات د.جودت كساب ، مكتبة الراشدون ، الرياض ، ٢٠٠٤
٢١- أيام العرب في الجاهلية لمحمد أحمد جاد المولى ،دار الفكر بيروت .
٢٢- ديوان الشنفرى جمع وتحقيق د.اميل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٩٦م
٢٣- ديوان طرفه تحقيق الخطيب ولطفي ،مجمع اللغة العربية دمشق .